سيرة العالم الدكتور نوري جعفر

تلميذه يتذكر- مغنية الحي لا تطرب

لاتمر ذكرى نوري جعفر في ذاكرة وخاطر تلميذه النجيب الدكتور نجم حيدر استاذ الدراسات العليا في علوم الجماليات في اكاديمية الفنون الجميلة حاليا الا ويردد مقولة (مغنية الحي لاتطرب) مخلوطة ببكاء مر على غياب استاذه الذي رحل عن الحياة بعد ان ترك عشرات من القصص والدروس في روح تلميذه الذي تحولت حياته النزقة بعد لقائه باستاذه الى حياة تبحث عن المعاني الكبيرة والمضامين الانسانية الرفيعة.





يقول نجم حيدر : طلب مني نوري جعفر ان اعمل بحثا لأطروحتي عن بافلوف

توفيق التميمي

القسم الثاني

يقول نجم حيدر : طلب مني نوري جعفر ان اعمل بحث لاطروحتي عن بافلوف. وقمت بعمل المطلوب مستعينا بمصادر متنوعة اضافة لكتاب نوري جعفر (طبيعة الأنسان في ضوء فسلجة بافلوف) وعند تقديمي البحث له أخذ نوري يشطب بعلامة X على كل المصادر عدا مصدره. فقلت له باستغراب: لما مصدرك دون المصادر الأخرى؟ أجابني: ما تقصد؟ قلت: وكأنك تحمل عقلية بافلوف! لم يجبني ولكنه طلب مني ان التقيه صباح اليوم التالي في المكتبة المركزية. وبالفعل التقينا هناك وسألني ان اجمع كل الكتب المتواجدة باللغة الأنكليزية عن بافلوف، وبالفعل قمت بتجميع حوالي عشر كتب لمؤلفين أنكليز وأمريكان وقال لي: افتح صفحة المصادر واقرأ أسم الكاتب الذي استندوا عليه في مؤلفاتهم. ولعجبي ان يكون أسم نوري جعفر هو في اول قائمة مصادرهم، وشعرت بالخجل واعتذرت له عن تعليقي بالأمس. فأبتسم قائلا: مغنية الحي لا تطرب. بشهادة الغرب مؤلفات نوري جعفر وبحوثه العلمية المتجددة في طبيعة الأنسان في ضوء فسلجة بافلوف تعتبر مرجع ومصدر للباحثين في بريطانيا وأمريكا. يضيف نجم أن رفقته مع نوري جعفر رفقة مع كل المبادئ والقيم التي تمثلها عبر حياته طالبا واستاذا، فكانت لي فرصة عظيمة قلما تتاح لاحد من الطلاب، تعلمت منه دروسا تربوية اكثر مما تعلمته من دروس علمية كان يمليها علي بين الحين والاخر، ليكون نجم حيدر صاحب الحظ الكبير في كونه الطالب الوحيد الذي وافق الدكتور جعفر الاشراف على رسالته في علم فلسفة الجمال. الاب المثالي نوري جعفر يصف نفسه (انا رب عائلة اب وام وصديق وحارس وفي)

تقول ابنته الصغرى نجود)اصبح ابي لنا الام والاب في آن واحد، اشعرنا بحنان ورعاية لامثيل لها ليملأ فراغ رحيل والدتنا في ١٩٧٥ بطريقة لايمكن وصفها، احتضننا بصبه الوفي. لقد جند حياته وضحى بما تبقى من عمره لطمه ولنا كما كان يكرر على مسامعنا بامكم تركتكم امانة.

من خلال قراءاتي لمؤلفاته المتنوعة، صب جل أهتمامه من عام ١٩٦٢ في (نروسايكلوجي) وهو فرع جديد من علم النفس يستند الى علوم الدماغ او علم الأعصاب. تبحرت بأفكاره وبحوثه العديدة، وأخص بالذكر كتابه الغير مطبوع (بحوث غير منشورة) وحيازته على جائزة المجلس الدولي لرعاية الموهوبين في ١٩٨٣، على أمل واطمح ان يطبع لتعم الفائدة. يقول نوري جعفر في المقدمة: وأنه ليسرني كثيرا أن أعلن في هذه المناسبة (من باب الاعتزاز لا التبجح) أنني العراقي الوحيد وربما في عموم البلاد العربية المهتم بعلم النفس الجديد ومضامينه التربوية البالغة الأهمية. كما أن البحث الذي أضعه الان بين يدي القارئ: هو الأول من نوعه الذي يكتب باللغة العربية على ما أعلم بهذا الشكل الشامل الدقيق وهو حصيلة جهد فكري مضن استغرق اكثر من عشرة سنوات طلعت اثناءها أمهات كتب علم النفس باللغة الانكليزية والمترجمة انها أيضا بدأت بواكير هذا البحث في بداية عام ١٩٧٠، وتبلورت في عام ١٩٧٤، عندما أجريت دراسة مسهبة في جامعة شفيلد البريطانية ونشرت باللغة الانكليزية كتابي الذي ترجمة عنوانه (الإبداع واليات الدماغ) والذي توصلت فيه الى اراء علمية جديدة أوضحت بعضها بايجاز في محاضرة ألقيتها في المؤتمر الدولي الأول لرعاية الموهوبين الذي عقد في انكلترا عام ١٩٧٥، ثم شرحت تطبيقاتها في مجال العلوم الطبيعية النظرية والرياضيات في محاضرة ألقيتها في المؤتمر الدولي الثاني لرعاية الموهوبين الذي عقد في الولايات المتحدة عام ١٩٧٧.

وتناولت بعد ذلك، تطبيقاتها في حقل الأدب والفن في محاضرة القيتها في المؤتمر الدولي الثالث لرعاية الموهوبين الذي عقد في كندا عام ١٩٨١، وانني الان بصدد تهيأة محاضرة لاشرح فيها تطبيقات تلك الاراء في مجال التكنولوجيا لالقيها في المؤتمر الدولي الرابع سوف يعقد في الفلبين عام ١٩٨٣)). حاز على جائزة المجلس الدولي لرعاية الموهوبين ١٩٨٣

رحل عنا عام ١٩٩١ عن عمر يناهز ال٧٧ اثر سكتة قلبية، فكان مصابا بالزكمة في تلك الفترة وكنا معه (انا وخلود واخي علي) وقبيل نومه بدقائق طلب منا علينا بالكتابة نيابة عنه ويردد بالحاح (بابا أكتبوا بسرعة قبل ما أروح)، بعد استلقائه على الفراش احسست خلود بتوقف تنفسه وعم السكون المكان فقد رحل عنا. ولم نفهم انذاك ان توسله بنا في الكتابة لانه سيرحل ولم يتسن له ترك علمه حتى لحظاته الاخيرة).

أبي موسوعة علمية وغيبية يحمل رسالة أنسانية عميقة، يخترقني بتواصله الروحي وبكل الأتجاهات ليكون قدوتي في الحياة وبدون رياء.

هنا يجدر الأشارة بعدم صحة القصة التي روجت لها بعض مواقع الانترنيت ووسائل الاعلام التي تتحدث عن تهلية مزعومة في مقتله على يد ملتق ليبي، والتي لااساس لها من الصحة

تاملات في مؤلفاته

لم يكن نوري جعفر استعراضيا في كتبه او خاضعا لتهديد او اغراء من جهة سلطوية او تمويلية بل كانت مؤلفاته تنطلق من دوافعه الذاتية العلمية الخالصة ومدى الحاجة اليها تربويا وعلميا وثقافيا في المكتبة العراقية، اصداراته في فلسفة التربية والتاريخ وكتابه عن العلوم الطبيعية الذي نال جائزة المجمع العلمي العراقي عام ١٩٥٠، ومن هنا يأتي احد اسباب تغييب ذكر هذا المبدع الموسوعي في المحافل وغيابه عن محافل التكريم من قبل السلطات الحاكمة وترحاله المستمر تحت الظروف الضاغطة لمواصلة دوره التربوي والتعليمي في امكنة وازمنة خارج بلاده وحتى الكتب التي تم تاليفها زمن سطوة رقابة وزارة الاعلام الصدامي الشديدة انحصرت غايتها في ترميم الخراب النفسي والتربوي اللذين لحقا بالشخصية العراقية من جراء الحروب وما منحته ثقافة اجهزة الاعلام من مفاهيم العسكرة والتعبئة الطارئة على ثقافة العراقيين وما افسحته نظم تربية البعث الموغلية من اخلاقيات وقيم في النشئ الجديد.

ابداعات وابتكارات

يلاحظ في تلك البيبلوغرافيا التاليفية ان العلامة نوري جعفر موسوعة تاليفية نادرة الوجود، فهو لم يقتصر بالتاليف على مجال تخصصه وابداعه في علوم التربية وعلوم النفس وفسلجة الدماغ التي ابتكر وابدع وتفرد فيها بابداع نظريات نفسية خاصة به وجديدة ولاول مرة في تاريخ علم النفس، كنظريته المشهورة (الأبداع وأليات الدماغ) في الذكاء والتي خالفت نظرية توريث الذكاء الفطري وكشف مراميها لدعم النظام الراسمالي وتفنيد نظرية التفوق على اساس العرق والجينات العنصرية، ونظريته التي اختص بها وطور ما قبله من نظريات العلماء الذين سبقوه (بافلوف وجون ديوي) بعد ان اعطاها اللبوس العربي والثقافة الاسلامية وهي فرضية (النبوغ والابتكار)، ونظريته الخاصة في الدوافع النفسية المساهمة في ابداعات الرموز التراثية في مختلف العلوم والاداب بما اسماها التحفيز الدماغي وتحدي الاستجابة القدرية وهو بذلك نقل نظرية علم المؤرخ توينبي (التحدي والاستجابة) من التاريخ الى حقول علم النفس والنبوغ، وهذه من الثيمات الابتكارية وحدها ما تستحق من بلاده ومورخيها الوقوف اجلالا واكراما لهذا العلامة واستجلاء محطاته التاليفية وتسليط الاضواء عليها ..

مد وجزر

هذا الكاتب الذي لم يتوقف عن عطائه التاليفي طيلة سنوات عمره الشريف والمكللة بالابداع والتفاني حيث لم تخل سنة من سنوات حياته من ابحاث ومؤلفات في مجال من مجالات الابداع رغم ظروف العراق السياسية وتحولاته الانقلابية لاسيما بعد العهد الملكي والسنوات الاولى من حكم الزعيم قاسم، حيث تحولت مؤلفات المفكر والعلامة نوري جعفر من مجال التاريخ وفلسفته والسياسة وتظرياتها الى حقل التربية وعلومها المحضة تفاديا للمواجهة المباشرة مع السلطات التي حكمت العراق منذ مطلع الستينات حتى نهاية الالفية الثانية، حيث بعد مقتل الزعيم قاسم سادت العراق اجواء الرعب وارهاب العلماء وتهديد المبدعين امثال نوري جعفر. ولذا نلاحظ حذره الشديد في اختيار موضوعاته وترجماته والابتعاد عن الموضوعات التي تستفز رقابة السلطة والتي ترتبط بموضوعات الاصلاح والتنوير وفلسفة التاريخ والثورات والتي كان من خلالها يربط مجد الماضي ببؤس الواقع والتي عالجها خلال مؤلفاته في الخمسينات ومطلع الستينات من القرن السابق.

الجمعيات العلمية والمؤتمرات الدولية

- عضو المجلس الدولي لرعاية الموهوبين- الولايات المتحدة
- عضو المجلس الدولي لرعاية الموهوبين البريطانية- المملكة المتحدة
- عضو جمعية علم النفس البريطانية- المملكة المتحدة

ساهم في المؤتمرات للمجلس الدولي لرعاية الموهوبين الأتية على نفقته الخاصة وألقى في كل منها محاضرة عامة في المؤتمر الدولي الأول في لندن ١٩٧٥ والمؤتمرات الدولية اللاحقة المنعقدة على التوالي:

لندن ١٩٧٥، سان فرانسيسكو ١٩٧٧، مونتريال ١٩٨١، مانيلا ١٩٨٣، هامبرغ ١٩٨٥ يوتا الأمريكية ١٩٨٧، سدني ١٩٨٩، هولندا ١٩٩١

حاز على جائزة المجلس الدولي لرعاية الموهوبين ١٩٨٢

اصداراته ومؤلفاته الموسوعية باللغة الأنكليزية

rentivity and Brain Mechanisms 1976

Forward to Dewey's Educational Legacy 1979

Fundamentals of Neuropsychology 1988

The Genesis of Ideas in Science and Poetry 1987

Psychological nplication of Cultural ifferences of Mankind 1986

The World of Children 1982

Aesthetics and Aesthetics Education 1980

باللغة العربية ١- السلطة والفرد مترجم لبرتراند رسل م المعارف ١٩٥٠

2- فلسفة التربية ١٩٥٢

3- وقائع تزوير انتخابات النواب ١٩٥٤

4- التاريخ مجاله وفلسفته بغداد م الزهراء ١٩٥٤

5- جون ديوي حياته فلسفته م الزهراء ١٩٥٤

6- العلوم الطبيعية واثارها الحضارية ١٩٥٦

7- علي ومناوئوه بغداد ١٩٥٦

8- فلسفة الحكم عند الامام بغداد ١٩٥٧

9- المبادئ والرجال بغداد ١٩٥٨

10- الثورة مقدماتها ونتائجها بغداد ١٩٥٨

11- فلسفة التربية بغداد ١٩٥٩

12- اقتراحات لتطوير التعليم في العراق اتحاد الادباء ١٩٦٢

13- الفكر طبيعته وتطوره منشورات الجامعة الليبية ١٩٧٠

14- الجهاز العصبي المركزي ودوره في العمليات العقلية بغداد ١٩٧١

15- اللغة والفكر الرباط ١٩٧١

16- الاصالة في شعر ابي الطيب المتنبي ١٩٧٦

17- طبيعة الانسان في ضوء فسلجة بافلوف جزئين ١٩٧٧

18- التقدم العلمي والتكنلوجي ومضامينه الأجتماعية ١٩٧٨

19- القدرات العقلية النادرة ١٩٨١

20- الاصالة في مجال العلم والفن ١٩٧٩

21- الفكر التربوي الاشتراكي ١٩٨١

22- الجوانب السيكولوجية في ادب الجاحظ ١٩٨١

23- اراء ومواقف تربوية ونفسية في التراث ١٩٨٢

24- دور مؤسسات التربية في مجال التنمية الاقتصادية ١٩٨٣

25- الخيال العلمي في ادب الاطفال ١٩٨٠

26- جذور الأبداع لدى جميع الناس ١٩٨٠

27- طبيعة النوم والاحلام في ضوء علم الصحة ١٩٨٦

28- ابيات بين الجاحظ وجورج برناشو وجائزة نوبل ١٩٨٦

29- مواطن الأناقة والجمال في اللغة العربية ١٩٨٧

30- عمر بن عبدالعزيز ١٩٨٧

31- مصعب بن زبير ١٩٨٧

32- مع الحريري في مقاماته ١٩٨٦

33- افاق تربوية رحبة في التراث العربي الأسلامي ١٩٨٧

34- رعاية الطفل في الاسرة ١٩٨٧

35- الصب بين القلب والدماغ ١٩٨٧

36- أراء حديثة في تفسير نمو الأطفال وتربيته ١٩٨٧

37- ادب قصص الخيال العلمي وعالم الاطفال ١٩٨٧

38- مجالات التربية الخاصة ١٩٩٠

(1) مصادر السيرة:

شهادات ومقابلات:

1- رسائل متبادلة مع ابنته نجود نوري جعفر

2- د عبد الكريم راضي جعفر التدريسي في جامعة بابل في منزله بمنطقة البنوك

3- د نجاح هادي كبه (مؤلف كتاب عنه)

4- الاستاذ المتمرس البروفيسور عبدالحسين المبارك في البصرة (صديقه وزميله في الابتدائية)

5- د نجم حيدر (الطالب الوحيد الذي اشرف على اطروحته للماجستير في الجماليات)

6- الباحث ياسر جاسم قاسم

7- الدكتور احمد جواد العتابي (رئيس قسم اللغة العربية /الجامعة المستنصرية -كلية التربية)احد طلابه المصادر والمراجع:

1- التسجيل الارشيفي لبرنامج سيرة وذكريات اعداد وتقديم الاعلامية ابتسام عبدالله.

2- كتاب نوري جعفر رجل النهضة والاصلاح للباحث ياسر جاسم قاسم ط ا دمشق ٢٠١١

3- كتاب (الدكتور نوري جعفر واراؤه التربوية والنفسية والاجتماعية)للدكتور نجاح هادي كبة دائرة الشؤون الثقافية م وزارة الثقافة.

لم يكن نوري جعفراستعراضيا في كتبه او خاضعا لتهديد او اغراء من جهة سلطوية او تمويلية

